الغلو والتطرف الواقع وغياب المضمون

إعداد الدكتور
إبراهيم علي مصطفى
أستاذ مشارك
كلية الدعوة – جامعة أم درمان الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مستخلص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد أن تم هذا البحث على ضوء العنوان الموسوم به حيث كان تحته فصول ومباحث، فالفصل الأول كان بعنوان: المفهوم العام للغلو والتطرف وتحته مبحثان، المبحث الأول كان بعنوان الفرق بين الغلو والتطرف وأوضحت الفرق بين الغلو والتطرف من حيث اللغة ومن حيث الاصطلاح من خلال مراجع اللغة والمراجع العامة، أما المبحث الثاني وهو بعنوان: الأسباب والواقع لدى المغالين والواقع لدى المغالين والمتطرفين وأوضحت الواقع الذي يعيش فيه المغالي والمتطرف وذلك من حيث الخواء الفكري والانتقام الذي بغير منهج. أما الفصل الثاني وهو بعنوان: النهي عن الغلو والتطرف من خلال الأدلة النقلية وتحته مبحثان فالمبحث الأول وهو بعنوان النهي عن الغلو والتطرف من خلال الآيات واستشهدت بالآيات الكريمة مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ... ﴿١٧١﴾ النساء: ١٧١. أما المبحث الثاني وهو بعنوان النهي عن الغلو والتطرف من خلال الحديث وأوردت الحديث الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن مظعون رضي الله عنه وغيره من الحديث، وأوضحت في هذا المبحث أن العلاج للغلو والتطرف يكون بالتمسك بالمنهج وبما أشار إليه العلماء ثم ختمت البحث بالتوصيات والنتائج وبوضع المراجع في آخر القائمة.

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وقدر له من التكاليف ما يتناسب مع وضعه كإنسان، وجعل كل ميسر لما خلق له، ثم خلق العقل وهداه إلى المعرفة. قال تعالى:(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)(١). وقال تعالى(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)(٢).

ثم الصلاة على رسول الله الكريم، الذي بُعث هادياً، وما اختار أمراً إلا اختار أيسره ووسطه بما يوافق ما أنزل عليه، قال له:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(٣). وقال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٤).

وبناء على هذا نرى في موضوعنا والذي نحن بصدد البحث فيه أن أمر الدين والدعوة إليه ليس بالقهر الذي يوجد عند المغالي والمتطرف، وكذلك نجد أن الدين لا يؤخذ بالتهاون به ولا بالتهاون في حدوده، قال تعالى:(يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾(٥).

ونجد أن أمر الدين قد قام بالتدرج، وكذلك كان بالفهم والتعمق في أعماق الكتب والأخذ بالرأي والرأي الأخر بشرط أن يكون أصله آية أو حديث. ولكن نجد أن المغالين والمتطرفين قد أتوا بغير المألوف وخرجوا عن واقع الرشد. وسوف نشرح معني التطرف والغلو أن شاء الله تعالى.

وسوف نجد أن هؤلاء يمسكون بنص واحد ويقولون للناس في كل زمان ومكان حيث لا توجد عندهم مساحه للبحث والتنقيب في كتب العلم وهذا ما اضر بالدعوة وبالملتقي، وإن يشاء الله سوف أقدم بحثي هذا آمل أن أخرج بفائدة تفيد القارئ وسوف أتخذ المنهج عن طريق البحث الاستقرائي والاستنباطي إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٧٠)

(٢) سورة الإنسان: الآية (٣)

(٣) سورة البقرة: الآية (١٤٣)

(٤) سورة البقرة: الآية (١٨٥)

(٥) سورة مريم: الآية (١٢)

الفصل الأول
المفهوم العام للغلو والتطرف

المبحث الأول: الفرق بين الغلو والتطرف

بالرجوع إلى مرجع (معجم مقاييس اللغة) يظهر الفرق بين الغلو والتطرف فقد ورد أن الغلو هو مجاوزة الحد وتعديه حيث قال الجوهري في الصحاح" غلا في الأمر يغلو غلواً" أي جاوز فيه الحد.

وورد "غلا غلاء فهو غال وغاليّ ضد الرخص... وغلا في الأمر جاوز حده ووافقه الزبيدي في تاج العروس.

وأن أصل الغلاء: الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء.... يقال: غاليت صداق المرأة أي أغليته.

ومنه قول عمر رضي الله عنه " ألا لا تقالوا في صدقات النساء وفي رواية " لا تقالوا في صداق النساء. أي لا تبالغوا في كثرة الصداق"(٦).

وقال بعضهم: غلوت في الأمر غلوا وغلانيه وغلانيا إذا جاوزت في الحد وأفرطت فيه، ويقال للشيء، إذا ارتفع، قد غلا.

قال ذو الرمة:

فما زال يغلو حب ميّه عندنا *** ويزداد حتى لم نجد ما نزيدها

وكذلك نجد غلا في الدين غلوا من باب قعد وتصلب وتشدد حتى جاوز الحد وفي الترتيل. وغلو: الغين واللام المعتل أصل صحيح في الأمر يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر يقال. غلا السعر يغلو غلا وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل في الأمر غلوا إذا جاوز حده(٧).

ومما سبق يتبين أن الغلو في سائر استعمالاته يدل على الارتفاع والزيادة ومجاوزة الأصل الطبيعي أو الحد المعتاد".

معنى التطرف لغة:" التطرف هو تفعل بتشديد العين- من طرف يطرف طرفاً بالتحريك، وهو الآخذ بأحد(٨) الطرفين والميل لهما: إما الطرف الأقصى أو الأدنى"

ومنه ألحقوه على الناحية وطائفة الشيء.. ومفهوم التطرف في العرف الدارج- في هذا الزمان الغلو في عقيدة أو فكرة أو مذهب أو غيره يختص به دين أو جماعه أو حزب، ولهذا فالتطرف يوصف به طوائف من اليهود ومن النصارى، وكذلك أحزاب يمينيه متطرفة أو يساريه متطرفة. فقد وصفت بالتطرف الديني والحركي والسياسي. وعندما ننظر إلى العلاقة بين الغلو والتطرف نجد الفرق كذلك كما وجدناها لغوياً. فنجد أن الغلو في حقيقته أعلى مراتب الإفراط في الجملة. فالغلو في الكفن مثلاً هو المغالاة في ثمنه والإفراط فيه.

والغلو أخص وأعمق من التطرف إذ أن التطرف هو مجاوزة الحد والبعد عن التوسط والاعتدال إفراطاً أو تفريطاً، أو بعبارة أخرى. سلباً أو إيجاباً، زيادة أو نقصاً، سواء كان غلواً أم لا إذ العبرة ببلوغ طرفي الأمر وهو الغلو في قول القائل.

لا تقل في شيء من الأمر واغتصب *كلا طرفي قصد الأمور ذميم.

---

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قول الله تعالى، {وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ}، حديث رقم ٥١٤٨، مصدر سابق، ص٢٠٤.

(٧) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، باب الغين واللام، ج٤.

(٨) القاموس المحيط وشرحه، تاج العروس ولسان العرب ومعجم مقاييس اللغة، مادة طرف.

فالغلو أخص من التطرف باعتبار مجاوزة الحد الطبيعي في الزيادة والنقص، في حال النقص يسمي غلوا إذا بالغ في النقص فيقال، غلا في النقص، كما في قول اليهود جفاء في حق المسيح ابن مريم عليهما الصلاة والسلام، وكذلك في الزيادة إذا بالغ فيها كقول النصارى في المسيح ابن مريم غلواً.

أما التطرف– الانحياز إلى طرف الأمر، فيشمل الغلو، لكن الغلو أخص منه في الزيادة والمجاوزة ليس فقط بمجرد البعد عن الوسط إلى الأطراف أو بمعني أخر كل غلو فهو تطرف وليس كل تطرف غلواً[٩].

وبناءً على ما تقدم يتضح الفرق ولكن نجد أن الغلو مكمل للتطرف والتطرف مكمل للغلو، ولذلك لكي يتضح الأمر أكثر نرجع الأمر إلى المبحث الثاني لنرى الأسباب والواقع.

المبحث الثاني: الأسباب والواقع لدى المغالين والمتطرفين

منها النظر إلى الأمور الحادثة بالعاطفة دون العلم، ويقول الباحثون في قضية التطرف والغلو أن أسبابه لا تنحصر في الجهل بأحكام الدين، وإنما منها ما هو سياسي، ومنها ما هو تربوي ومنها ما هو نفسي، ومنها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو ثقافي، ومنها ما هو مجتمعي، ويعزى التطرف أحياناً إلى الأفراد، وأحياناً أخرى إلى الجماعات، وفي بعض الأحيان إلى مؤسسات ودول تحت مظلة النظام والقانون، وربما المحاكم الصورية، وعند النظر إلى هذه الأمور نجد أن أهم الأسباب للغلو والتطرف هي:

أولاً: الجهل بعدم معرفة حكم الله تعالى مع الغيرة على دين الله وتعظيم الحرمات وشدة الخوف من الله، فلا يحمل الإنسان أن يرى من أخيه المسلم معصية كبيرة ولا يتصور أن تصدر هذه الكبيرة من مسلم. لذا فسرعان ما ينقله من دائرة الإسلام إلى خارجها.

وهذا الجهل ناتج عن غياب الوعي الديني والفهم العميق للنصوص وربما أدي به ذلك إلى الجرأة على الأحكام الشرعية، ومعالجة النوازل من غير أهل الاختصاص دون فهم للنصوص الشرعية ومعرفة مقاصد الأحكام والإلمام بأسرار اللغة والرجوع لمشاهد التنزيل وفهم التأويل.

والجهل يعالج بإثباته أولاً من خلال تخطئه وإبراز الصواب أي بالعلم والمناظرة والمناصحة وقد ناظر ابن عباس الخوارج بأمر علي رضي الله عنه فرجع منهم أربعة ألاف. وبعث عمر ابن عبد العزيز رحمه الله من يناظرهم في عهده فرجع منهم ألفي إنسان وهكذا على أهل العلم فتح صدورهم ومجالسهم للسؤال والإجابة على أسئلة الشباب وشبهاتهم والاقتراب منهم والنزول إلى ميادينهم لدفع الجهل عنهم ولقطع الطريق على من يتصدر من غير أهل الاختصاص.

ثانياً: الهوى المؤدي للتعسف في تأويل النصوص ولي أعناق الآيات والأحاديث طلباً للشهرة والرياسة والزعامة وقد وافق ذلك نفسيه مريضة منحرفة. فهي تميل إلى العنف والحدة والانحراف، مما يؤدي إلى إسقاط الثقة بالعلماء، ويستقل الإنسان بنفسه وفهمه ورأية.

ثالثاً: أسباب تتعلق بالمجتمع والدولة، حيث إن الانحلال الخلقي المدعوم أحياناً بالقانون تحت غطاء الحرية أحد أسباب حصول الغلو والتطرف.

فمظاهر الرذيلة التي يشاهدها المسلم خاصة في المجتمعات الإسلامية في الشارع والمدرسة والجامعة والإعلام الرسمي والصحافة والإذاعة والأسواق من ناحية، والاستهزاء بالدين وحملته وتشويه صورته ومحاربته، ومحاصرة رجل الدين في فكرة وإغلاق منافذ التعبير من ناحية أخرى عليه كل ذلك من أسباب نشوء التطرف والإرهاب وردة الفعل القاسية وإن كانت غير مبرره إلا إننا نبحث في الأسباب.

رابعاً: أسباب سياسية تتعلق بواقع الأمة الخارجي من احتلال أراضيها وقتل أبنائها وهتك أعراض بناتها ومصادرة ثرواتها وكشف أستارها وإسقاط هيبتها. فما يحصل في أفغانستان والعراق وفلسطين لاشك أنه ينعكس انتقاماً في نفوس الشباب وسيكون وقوداً صالحاً للاشتعال متى ما أتيحت الفرصة.

---

(٩) د. علي بن عبد العزيز بن علي الشليل، الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنق، ص١٢.

ولعل آخر هذه الأمور هو تدنيس المصحف الشريف في قاعدة "غونتانامو" بكوبا وقاعدة بإرغام بأفغانستان واعتراف القوات الأمريكية بذلك هذا على المستوى الخارجي وعلى المستوى الداخلي.

فإن الزج بآلاف الشباب في السجون والمعتقلات تحت غطاء المحاكمات الصورية ومداهمة منازلهم وإشانة سمعتهم والتشهير بهم ومنعهم من ممارسة حرية التعبير بل حتى حرية العبادة كالحجاب أو اللحية أو الصلوات في المساجد أو المطالبة بتطبيق الشريعة وتعرضهم لأقصي درجات التعذيب والإهانة وسحق الإنسانية كل ذلك كفيل في أن يولد لنا تطرفاً وغلواً وإرهاباً.

خامساً: الأوضاع الاقتصادية: ونخاطب بها أولئك النافذين الذين استكثروا على شعوبهم أن يشاركوهم الحياة فأستاثروا بالثروات والمؤسسات والشركات وعاشوا حياة البذخ والسرف من السرقات والرشاوى والنفوذ واستقلال السلطة في ظل وجود طبقة محرومة تعيش دون مستوى الفقر، بل تصل إلى حد العدم ولا تملك شيئاً ولا يمكنهم الحصول على شيء إلا من خلال التسول وإراقة ماء الوجه، وإهدار كرامة الإنسان بل بعضهم أضطر إلى بيع عرضه والتخلي عن شرفه من أجل أن يعيش. فماذا نتوقع من ألوف الجامعيين العاطلين عن العمل وآلاف من البنات العازبات عن الزواج بسبب نقص ذات اليد لدى الشباب مع ارتفاع تكاليف الحياة والمعيشة، إنه وبحكم الطبيعة البشرية سيرتفع مستوي الحقد والحسد والتحامل والتطرف والنغمة على الأخر الغني الذي كان سبب غناه هو استئثاره بالسلطة أو ربما أنه من أبناء وسلالة فلان أو من الحزب الحاكم أو غيره. ولك أن تتصور ما يفعل الفقر في الإنسان من أمراض جسدية يعجز عن علاجها وأمراض نفسية يورثها الفقر والهم والتفكير بالغد وعدم قدرة على التعليم بل ولا على العيش، ويوافق ذلك هوى في النفس ومجاميع عاطلة تتوافق نفسياً مع بعضها من حيث مبدأ التحامل على النظام بسبب الفقر والفاقة وعدم العدالة في توزيع الثروات مما يؤجج روح العداء ويزكو نار التطرف تحت مسمي الدين.

سادساً: الفراغ الروحي الذي يحيط بالشباب لعدم وجود ما يشبع رغبات الشباب خاصة إذا وافق ذلك بطالة وعدم وجود سبل الرزق وكسب العيش كفيل في ضياعهم وربما انحرافهم مما يسهل توجيههم واستغلالهم من قبل أي إنسان كان وحسب رغبته وخططه وربما كان هذا الفراغ سبباً للجريمة والإفساد في المجتمع(١٠).

بناء على ما تقدم نلاحظ الأسباب والتي تأتي من النظرة من غير واقع الدين ومن غير الإلمام بواقع الحدث، ومن ثم الاندفاع في معالجة الأمور بالعاطفة المجردة التي دائماً ما يصاحبها التهور وعدم وضع الأمور في مواضعها، ففي القرآن الكريم نجد دائماً أن العقل يقدم على العاطفة، فكان من الخطأ تقديم العاطفة على العقل، ونجد غياب العلم والحكم بالباطل.

ولقد سبق وجود حالات فردية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، في الغلو، لكنها لا تذكر لقلتها ولعدم استمراريتها ولأنها لا تمثل عقيدة أو منهجاً، بل سرعان ما زالت عند معرفة الصواب. وهو أمر طبيعي في أي دعوة، خاصة دعوة الإسلام وسببها، والله أعلم- التباين والاختلاف في فهم أحكام الشريعة ومقاصدها وكذلك اختلاف قوة الدافع نحو هذه الدعوة وأحكام شرعها.

لكن النبي صلى الله عليه وسلم، استطاع أن يفقه أصحابه ويعلمهم ليصححوا ما قد طرأ من بعضهم من غلو- إن جاز التعبير.

ومنهم الثلاثة الذين تقالوا عبادته صلى الله عليه وسلم لكن سرعان ما رجعوا إلى الاعتدال لما فقهوا(١١).

---

(١٠) التطرف والغلو: الأسباب- المظاهر- العلاج، ورقة مقدمة للمؤتمر الدولي الرابع المنعقد بمدينة فيفاي بسويسرا، برعاية جامعة الكويت- كلية الشريعة بالتعاون مع جمعية مسلمي فيفاي- إعداد د. طارق محمد الطواري أستاذ مساعد بكلية الشريعة، جامعة الكويت- الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية، ص١١-١٢-١٣-١٤.

(١١) الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، إعداد د. علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، ص٢٣.

ونجد غياب العلم والحكم على الناس بالباطل موجود عند المغالين وذلك عند الخوارج وغيرهم في الملل حيث أنهم حكموا على الناس وأثاروا الفتن وأصدروا على رأيهم حتى وصل حد الموت. وكذلك قد نجده في متطرفين ومقالين اليوم خاوية أذهانهم من العلم مندفعين بالعاطفة نحو الأشياء، وبالتالي فقدوا الصواب وذلك كما حصل عند المغالين من الصحابة لأنهم سعوا بالفتنة والخروج على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، بدءً بالخروج عليه والسعاية بالفتنة والبغي عليه. ثم خرجوا عليه بالفعل بحصاره وشتمه وذمه ثم بقتله رضي الله عنه. ولما قتل عثمان رضي الله عنه ظلماً وعدواناً وغدراً ظهرت الفتن وثارت أعاصير الشبهات، وأقبلت الفتن، مهرولة يحمل رايتها الغلو والتطرف والإرهاب الممنوع للآمنين المطمئنين من المسلمين خصوصاً، فكان غلو الخوارج وتشددهم وخاصة في التفكير وموقفهم من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فكانت مظاهر تطرف الخوارج وإرهابهم، يتمثل في غلوهم في دينهم من خلال أصولهم العقدية التي اشتهرت عندهم بعد هذه المرحلة التاريخية حيث تأصلت أصولهم وظهرت قواعدهم في عقيدتهم وفي تعاملهم مع المسلمين من خلال التكفير للمسلمين، ولاة وعلماء وعامة بمجرد حصول الذنب من أي منهم، ومنه حكموا على علي بن أبي طالب وقبله عثمان بن عفان، وعلى معاوية، ومن معهم رضي الله عنهم بالكفر في أعيانهم، ثم أفرد هذا عندهم إلى كل صاحب ذنب من المسلمين. فإنه بمجرد حصول الذنب منه يكفر عيناً ويخرج من الملة إلا أن يتوب فعليه الدخول في الدين مجدداً.

ترتب على التفكير الخروج على المكفَّرين بالسيف وبالقتال، وهو استحلال دماء المكفَّرين وأعراضهم وأموالهم. هذا وزادوا بإنكار السنة والتأويل على القرآن فقط بزعمهم، فأنكروا حد الرجم لعدم وروده في القرآن، وألزموا المرأة الحائض بقضاء الصلاة أثناء عذرها بالحيض أو النفاس كما تقضي الصوم!

وخرجت المغالية وادعوا أن في علي الإلهية، قال الحافظ ابن حجر. ورد من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي إن هنا قوماً على باب المسجد يزعمون أنك ربهم فدعاهم علي وقال لهم:

"ويلكم إنما أنا مثلكم آكل الطعام كما تأكلون واشرب كما تشربون، أن أطعت الله أثابني وإن عصيته خشيت أن يعذبني فأتقوا الله وارجعوا فأبوا، فلما كان الغد غدوا عليه فجاءه قمبر فقال. قدوا الله رجعوا يقولون ذلك الكلام. فسأل فأدخلهم".

فقالوا كذلك، فلما كان اليوم الثالث قال: لئن قلتم ذلك أقتلنكم باخبث قتله. فأبوا إلا ذلك. فقال. يا قُنبر إئتني عمالاً معهم أدوات حرفهم. فخدَّ لهم أخدوداً بين المسجد والقصر وقال لهم. احفروا فأبعدوا في الأرض وجاء بالحطب فطرحه في النار في الأخدود وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا. فأبوا أن يرجعوا فقذف بهم حتى احترقوا وقال. لما رأيت الأمر أمراً منكراً: أوقدت ناري ودعوت قنبرا.

وفي الصحيح أن ابن عباس لما بلغه تحريقهم قال: لو كنت أنا لم أحرقهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم، "لا تعذبوا بعذاب الله" ولقتلهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، "من بدل دينه فاقتلوه" فبلغ ذلك عليا فقال صدق ابن عباس.

ونجد أثر الغلو في الأسماء والأحكام عند الخوارج والمعتزلة، في هذا الزمان والذي سببه غياب العلم والجهل، ولقد مضي القول عند الخوارج أن الفاسق كافر في الدنيا، مخلد في النار يوم القيامة، يجوز سلب ماله، واستحلال دمه، وأسترقافه، وتطليق زوجته منه ولا تجوز الصلاة عليه أو دفنه مع المسلمين وهو في الآخرة بائس من رحمه الله، للجزم بأنه كافر مخلد في نار جهنم، ونشير هنا إلى الوقت الحالي وإلى جماعة شكري أحمد وهي جماعة شكري أحمد مصطفي "١٣٩٨هـ" في بلاد مصر وهي جماعة التفكير والهجرة وقد تأثر بهذه الجماعة وأقوالها طوائف من قليلي العلم والبصيرة من الشباب العاطف المندفع، وطوائف من الدعوات الحركية وحزب التحريري، وغيرهم من أقوال شكري في مرتكب المعصية، ونشير إلى واقعهم وذلك حسب آثار تلك الفرقة في الناس:

١. اعتزال أفراده المجتمع المصري لأنه كافر، ولأنه راض بالكفر.
٢. تصفية وقتل كل من خالفهم أورد عليهم- ومنهم " ذهبي مصر" لأن من خالفهم فهو كافر، حيث قامت عليه الحجة فلم يقتنع بها، وتجري عليه أحكام المرتد.
٣. التكفير بالمعاصي والحكم على صاحبها الخلود بها في نار جهنم.
٤. عندهم كل من لم يحكم بغير ما أنزل الله يكون كافراً كفراً مخرجاً عن الملة جملة دون تفصيل.وهذا من أعظم المسوغات لحصول التفكير والتفجير والقتل واستباحة الدماء.
٥. تشويه صورة سماحة الإسلام بين الناس- ووافق ذلك لمزهم بالتطرف والإرهاب، وبث الفوضى، والخوف، وعدم الأمن، ومع الأسف الشديد

أنهم يعتقدون أن تصرفهم هذا ديانة لله وجهاداً وهو جهلاً بالعلم والدين ومقاصده(١٢).

وبناءً على ذلك مما تقدم نجد فعلاً أن الغلو والتطرف هو انهزامية الشخصية وغياب المضمون الدعوي، ورأت عليه الجهل والتحدي والمكابرة فأقتحم المغالون والمتطرفون المساجد ووصولا إلى حد القتل واليوم فهم في عزلة في كل بلد عربي إسلامي، وما دخلوا مسجداً إلا وأشعلوا فيه فتنة، لا ينظرون ولا يتذكرون قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١٣).

هذا ونواصل في موضوعنا لننظر إلى النصوص في القرآن الكريم والسنة النبوية وذلك في الفصل الثاني وهو النهي عن الغلو والتطرف من خلال الأدلة النقلية.

(١٢) الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف،ص(٢٣-٢٤-٢٥-٣٤-٤١-٤٢).

(١٣) سورة البقرة: الآية (١١٤).

الفصل الثاني
النهي عن الغلو والتطرف من خلال الأدلة النقليه

المبحث الأول: النهي عن الغلو والتطرف من خلال الآيات الكريمة:

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (١٤).

أورد الشوكاني حيث قال" لما أبطل سبحانه جميع ما تعلقوا به من الشبة الباطلة نهاهم عن الغلو في دينهم وهو المجاوزة للحد كإثبات الإلهية لعيسي، كما يقول النصارى، أو حطة عن مرتبته العليا كما يقوله اليهود فإن كل ذلك من الغلو المذموم وسلوك طريقة الإفراط أو التفريط واختيارهما على طريق الصواب.

وورد أن "غير" منصوب على أنه نعت لمصدر محذوف: أي غلوّاً غير غلوّ الحق، وأما الغلو في الحق بإبلاغ كلية الجهد في البحث عنه واستخراج حقائقه فليس بمذموم" (١٥).

هذا ما أورده الإمام الشوكاني في هذه الآية، وننظر لنرى ما ورد في الكشاف للزمخشري. حيث قال "أي لا تغلوا في دينكم غلواً غير الحق أي غلواً باطلاً. لأن الغلو في الدين غلوان. غلواً حق وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أباعد معانيه ويجتهد في تفاصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم، وغلوّ باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة وإتباع الشبه كما يفعل أهل الأهواء والبدع.

وأورد الزمخشري: كذلك في هذه الآية معناه لا تغلوا في دينكم غلواً باطلاً قال أحمد: يعني بأهل العدل والتوحيد المعتزلة ويعني بغلوهم الذي هو حق عندهم أنهم غلواً في التوحيد فجحدوا الصفات الإلهية، وغلواً في التعديل فنفوا أكثر الأفعال بل كلها عن أن تكون مخلوقه لله تعالى لانطوائها في مفاسد ولان الله تعالى يعاقب على ما هو قبيح منها، والعدل عندهم أن لا يعاقب على فعل خلقه فهذا غلوّهم في التعديل" (١٦).

وكذلك ورد في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١٧).

---

(١٤) سورة المائدة: الآية (٧٧).

(١٥) فتح الغدير – الجامع بين فني الرواية من علم التفسير، ط٢ ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م- مؤسسة الريان- بيروت، ج٢، تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ص٨٥.

(١٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر ١٤٢٦-١٤٢٧-٢٠٠٦م- تأليف أبي القاسم جار الله بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ج١. ص٦٣٥-٦٣٦.

(١٧) سورة النساء: الآية (١٧١).

هنا نهي عن الغلو. والغلو التجاوز في الحد ومنه غلا السعر يغلو غلاء، وغلاء الرجل في الأمر غلواً، وغلا الجارية به لحمها وعظمها إذا أسرعت الشباب فجاوزت لذاتها ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم وغلو النصارى فيه حتى جعلوه رباً، فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر ولذلك قال مطرف بن عبد الله الحسنة بين شيئين.

وقال الشاعر:

وأوف ولا تستوف حقك كله * وصافح فلم يستوف قط كريم

ولا تغل في شيء من الأمر * واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وقال آخر:

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة * ولا تركب ذلولاً ولا صعباً

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ﴾ أي لا تقولوا إن له شريكاً أو أبناء ثم بين تعالى حال عيسي عليه السلام وصفته فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾(١٨).

وبهذا نرى أن القرآن الكريم يرد المغالين إلى الفهم الصحيح غير أن المغالي والمتطرف يمتلك من الإدعاء الكاذب والمكابرة الزائدة ثم إن المغالي والمتطرف دائماً يشعر بالانهزامية، وبالتالي يجب أن يخرج على الناس بما هو ليس في عقيدتهم ولا علمهم.

وكذلك نواصل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾(١٩).

ولقد أورد الزمخشري في هذه الآية حيث قال" لا تحرموا ولا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم، أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهداً منكم وتقشفاً. ومعني" طيبات ما أحل الله لكم" ما طاب ولذَّ من الحلال(٢٠)، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة يوماً لأصحابه، فبالغ واشبع الكلام في الإنذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون، واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الأرض ويجبوا مذاكيرهم. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: "إني لم أومر بذلك" إن لأنفسكم عليكم حقاً، فصوموا وافطروا، وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأكل اللحم والدسم وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"(٢١).

---

(١٨) سورة النساء: الآية (١٧١).

(١٩) سورة المائدة: الآيات (٧٨-٨٨).

(٢٠) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج١، مصدر سابق، ص٦٣٩.

(٢١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم ٥٠٦٣، دار الفكر للطباعة والنشر، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج٩، ص١٠٤.

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأن يأكل الدجاج والفالوذ، وكان يعجبه الحلواء والعسل[٢٢]، وعن ابن مسعود أن رجلاً قال له: إني حرمت الفراش، فتلي هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك. وعن الحسن أنه دعي على طعام ومعه فرقد السنجي وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك. فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم؟ قالوا لا، ولكن يكره هذه الألوان، فأقبل الحسن عليه وقال يا فريقد أترى لعاب النحل بلباب البر يخالص السمن يعيبه مسلم. وعنه أنه قيل له: فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أودي شكره، قال: أفيشرب الماء البارد؟ قالوا، نعم قال: إنه جاهل. أن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذ. وعنه: إن الله تعالى أدب عباده فأحسن أدبهم، قال الله تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[٢٣]. ما عاب الله قوماً وسع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا، ولا عذر قوماً زواها عنهم فعصوه " ولا تعتدوا" ولا تتعدوا حدود ما أحل الله لكم إلى ما حرَّم عليكم أو لا تسرفوا في تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلماً.

فنهي عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولاً أولياً لوروده على عقبة، أو أراد ولا تعتدوا بذلك " وكلوا مما رزقكم الله" أي من الوجوه الطيبة التي تسمي زرقاً "حلالاً " حال مما رزقكم الله " واتقوا الله" تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيداً بقوله:﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾[٢٤]. لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهي عنه[٢٥].

ونرى مما تقدم أن الغلو والتطرف يكون في الاعتقاد ويكون في العبادة ويكون في الأكل والشرب ويكون في الأمور الاجتماعية وهذه الأمور لو اجتمعت عند الشخص لفقد شخصيته وأصبح منهزماً حائراً لا يأخذ ولا يعطي. ونلاحظ أن الصحابة الكرام إذا حصل منهم غلواً أو تطرفاً سرعان ما يرجعون لأنهم طلاب حقيقة حيث أنهم يقفون عند القرآن والقرآن الكريم كتاب الوسطية والعدل.

هذا وسوف نواصل في هذه الآية لنرى ما قاله الشيخ ابن كثير حيث قال:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوماً، فذكر الناس ثم قام ولم يزدهم على التخويف فقال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا عشرة منهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن مظعون: ما حقنا أن لم نحدث عملاً، فإن النصارى قد حرموا على أنفسهم فنحن نحرم، فحرم بعضهم أن يأكل اللحم والودك وأن يأكل بالنهار، وحرم بعضهم النوم، وحرم بعضهم النساء، فكان عثمان بن مظعون ممن حرم النساء. فكان لا يدنوا من أهله ولا يدنون منه، فأتت امرأته عائشة رضي الله عنها، وكان يقال لها الخولاء، فقالت لها عائشة ومن عندها من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ما بالك يا خولاء متغيرة اللون، لا تمتشطين ولا تتطيبين. فقالت وكيف امتشط وأتطيب وما وقع عليّ زوجي وما رفع عني ثوباً منذ كذا وكذا، قال فجعلن يضحكن من كلامها، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن يضحكن، فقال "وما يضحككن" قالت يا رسول الله إن الخولاء يسألنها عن أمرها، فقالت ما رفع عني زوجي ثوباً منذ كذا كذا. فأرسل إليه فدعاه فقال " مالك يا عثمان" قال إني تركته لكي أتخلي للعبادة، وقص عليه أمره، وكان عثمان قد أراد أن يجب نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أقسمت عليك ألا رجعت فواقعت أهلك" فقال يا رسول الله إني صائم، فقال "أفطر" فأفطر وأتي أهله، فرجعت الخولاء إلى عائشة وقد امتشطت واكتحلت وتطيبت، فضحكت عائشة وقالت مالك يا خولاء؟ فقالت إنه أتاها أمس، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم إلا إني أنام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء فمن رغب عني فليس مني" فنزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ

---

(٢٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب الأدْم، حديث رقم، ٥٤٣٠، مصدر سابق، ص٥٥٦.

(٢٣) سورة الطلاق: الآية (٧).

(٢٤) سورة المائدة: الآية (٨٨).

(٢٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج١، ص٦٣٩-٦٤٠.

لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (٢٦). يقول لعثمان لا تحب نفسك، فإن هذا هو الاعتداء وأمرهم أن يكفروا عن أيمانهم، فقال: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ (٢٧). وقوله تعالى: (لا تعتدوا) يحتمل أن يكون المراد منه، ولا تبالغوا في التضييق على أنفسكم بتحريم المباحات عليكم، كما قاله من قاله من السلف. ويحتمل أن يكون المراد: كما لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال، بل خذوا منه بقدر كفايتكم وحاجاتكم ولا تجاوزوا الحد فيه، كما قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (٢٨).

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (٢٩). فشرع الله عدلاً بين الغالي فيه والجافي عنه، لا إفراط ولا تفريط، ولهذا قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (٣٠) ثم قال: ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (٣١) أي في حال كونه حلالاً طيباً " واتقوا الله" أي في جميع أموركم واتبعوا طاعته ورضوانه، واتركوا مخالفته وعصيانه " الذي أنتم به مؤمنون" (٣٢).

هذا الخطأ الذي يوقع من الصحابة الكرام رضي الله عنهم هو حالة من حالات التطرف والغلو الذي نراه واقعاً في حياتنا اليوم، ولكن الصحابة الكرام رضي الله عنهم سرعان ما يرجعون إلى الحق عند ما يتضح لهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما شاهدنا في حالة سيدنا عثمان بن مظعون رضي الله عنه. وعليه فإن الغلو والتطرف نراه فعلاً اخزم للشخصية وإبعادها عن واقع هذه الحياة، ولذلك نلاحظ على المغالين اليوم والمتطرفين حالة من الحزن والعبوس ونرى فيهم أمثال العابس الزاجر يتكلمون في مواضيع بعينها ويكررون الكلام ولا يحسبونه ولا يعرفون الفقه ولا الناسخ من المنسوخ في القرآن الكريم ولا يعرفون الاستنباط ولا يعرفون رأي الفقهاء ويعيشون في حزن ولذلك أورد الشيخ عايض القرني في كتابه " لا تحزن" معلقاً على قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣٣).

---

(٢٦) سورة المائدة: الآية (٨٧).

(٢٧) سورة المائدة: الآية (٨٩).

(٢٨) سورة الأعراف: الآية (٣١).

(٢٩) سورة الفرقان: الآية (٦٧).

(٣٠) سورة المائدة: الآية (٨٧).

(٣١) سورة المائدة: الآية (٨٨).

(٣٢) تفسير القرآن العظيم- دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م- تأليف الإمام أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، ج٢، ص١٠٩-١١٠.

(٣٣) سورة البقرة: الآية (١٤٣).

"حيث قال: "العدل مطلب عقلي وشرعي، لا غلو ولا جفاء، لا إفراط ولا تفريط، ومن أراد السعادة فعليه أن يضبط عواطفه، واندفاعاته، وليكن عادلا في رضاه وغضبه، وسروره وحزنه، لأن الشطط والمبالغة في التعامل مع الأحداث ظلم للنفس، وما أحسن الوسطية، فإن الشرع نزل بالميزان والحياة قامت على القسط، ومن أتعب الناس من طاوع هواه، واستسلم لعواطفه وميولاته، حينها تتضخم عنده الحوادث، وتظلم لديه الزوايا، وتقوم في قلبه معارك ضارية من الأحقاد والدخائل والضغائن. لأنه يعيش في أوهام وخيالات، حتى أن بعضهم يتصور أن الجميع ضده، وأن الآخرين يحبوكون مؤامرة لإبادته، وتملي عليه وساوسه أن الدنيا له بالمرصاد، فلذلك يعيش في سحب سود من الخوف والهم والغم".

إن الإرجاف ممنوع شرعاً، رخيص طبعاً، ولا يمارسه إلا أناس مفلسون من القيم الحية والمبادئ الربانية " يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو"

أجلس قلبك على كرسيه، فأكثر ما يُخاف لا يكون ولك قبل وقوع ما تخاف وقوعه أن تقدر أسوأ الاحتمالات، ثم توطن نفسك على تقبل هذا الأسوأ حينها تنجو من التكهنات الجائرة التي تمزق القلب قبل أن يشفع الحدث فيبقي.

فيا أيها العاقل التايه: أعط كل شي حجمه ولا تضخم الأحداث والمواقف والقضايا بل اقتصد واعدل ولا تجر، ولا تذهب مع الوهم الزائف والسراب الخادع، اسمع ميزان الحب والبغض في الحديث " أحب حبيبك هونا ما، فعسي أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣٤).

أن كثيراً من التخوفات والأراجيف لا حقيقة لها" (٣٥) وبهذا نرى أن الغلو والتطرف حالة مرضية تصيب القلوب، فالمخرج منها الرجوع إلى التنزيل والإيمان به. وهذا وسوف نواصل الكلام في الغلو والتطرف والنهي عنه وبعد النظر إلى الغلو والتطرف في الآيات الكريمة السابقة ننظر إلى حديث المصطفي صلى الله عليه وسلم، لنرى ذلك علماً بأن القرآن الكريم كل آياته لا تأمر الإنسان فوق طاقته ولا تنهاه عن ما يتناسب مع فطرته، ودائماً ننظر إلى القرآن الكريم أنه دائماً يقدم العقل على العاطفة وأنه يأمر لا يأمر بأن يحكم بالأهواء ولا النظر للأمور بالعاطفة المجردة، ولا يأمر بالقتل والضرب والزجر، ولا يأمر بأن يحرم نفسه من الطعام وترك النكاح، لأن هذه الأمور انهزام لشخصية الإنسان وغياب لمضمون النصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي، وذلك كما نجده في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: النهي عن الغلو والتطرف من خلال الحديث النبوي:

وهذا ما نجده في المبحث الثاني النهي عن الغلو والتطرف من خلال الحديث النبوي من هذا الفصل والذي يوضح لنا الاعتدال في كل الأمور حيث جاء في الحديث الذي ورد في مختصر ابن أبي جمرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أن الدين يسر ولا يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة" (٣٦).

قوله أن الدين أي دين الإسلام وقوله يسر أي ذو يسر وسمي الدين يسراً مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم ومن أوضح الأمثلة له توبتهم كانت بقتل أنفسهم وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم واليسر السهل، وقوله لن يشاد الدين أي ولن يغالبه من الشدة وهي الغلبة والمعني أن الدين يغلب من غالبة. فإذا تعمق الإنسان في الدين وشدد على نفسه فلابد من غلبته وقهره وعجزه بعد ذلك. فإذا أراد صوم الدهر أو أن يصلي كل ليله مائة ركعة مثلاً فإنه في آخر الأمر يغلب ويترك الصلاة والصوم بالمرة. قال ابن المنير في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأي الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الهلال أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إحراج الغرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة أو إلى أن خرج الوقت المختار أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة. وفي حديث محجن بن الادرع عند أحمد

---

(٣٤) سورة الممتحنة: الآية (٧).

(٣٥) لا تحزن- مكتبة العبيكان- الرياض العليا، الطبعة العاشرة لجمهورية مصر العربية ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، تأليف د. عائض القرني، ص٧١-٧٢.

(٣٦) حاشية الشيخ محمد الشتواني على مختصر ابن أبي جمرة- دار الفكر، ص٤٦-٤٧.

لن تناولوا هذا الأمر بالمبالغة وخير دينكم أيسره، وقد يستفاد من هذه الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية، فإن الأخذ بالعزيمة في موضوع الرخصة تنطع، كمن يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء فيفضي استعماله إلى حصول الضرر. أما قوله فسددوا أي ألزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط، قال أهل اللغة السداد والتوسط في العمل. قال في المصباح السداد بالفتح الصواب من القول والفعل، وقال في المختار السداد بالفتح هو الصواب والقصد من القول والعمل، وقوله (وقاربوا) أي توسطوا بين الإفراط والتفريط فلا تبلغوا النهاية ولا تتركوا بالكلية فلا تصوموا دائماً ولا تفطروا دائماً بل تارة صوموا وتارة أفطروا ولا تصلوا كثيراً في الليل دائماً ولا تتركوها دائماً بل توسطوا قال عليه الصلاة والسلام " أحب الأعمال ما دوام عليه صاحبه وإن قل"، وقوله "وابشروا" أي ابشروا بالثواب على العمل وإن قل وبالنعيم وبأن الله لا يضيع أجر المحسنين والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل فإن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقصان أجره وأيهم المبشر به تعظيماً له وتفخيماً، وقوله (بالغدوة).

قال الجوهري، هي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس وقيل هي السير أول النهار والمعني استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في القدوة أي أول النهار والمعني أرفعوا الصلاة في وقت نشاطكم، وقوله (والروحة) وهي من زوال الشمس إلى غروبها، وقوله شيء من (الدلجه) وقيل هي سير الليل كله، وقيل سير آخر الليل.

ومن هنا ليس المراد أنهم يعملون أعمال الدين في هذه الأوقات الثلاثة، وإنما المراد أنهم يعملون أعمال الدين في وقت النشاط والعبادة. والمقصود تشبيه العابد بالمسافر في أن كلا منهما لا يستغرق زمنه بالعمل، فالعابد لا يستغرق زمنه بالعبادة كما أن المسافر لا يستغرق زمنه بالمسير، وفي أن كلا منهما يعمل في أوقات النشاط، وقد بين المصطفي صلى الله عليه وسلم أوقات نشاط المسافر فيقاس عليها أوقات نشاط العابد (٣٧).

وبناءً على ذلك نرى أن الدين سهل وأن أخذه سهل ولكن الالتزام به، هو الأمر الضروري الذي يجب أن يكون عليه الإنسان حيث لا إفراط ولا تفريط، وهكذا كان سير رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولكن أن يكون هنالك من الناس من يختار له منهجاً لوحده فيصبح هو الحاكم على الناس ويصبح هو العابس الزاجر للناس، ويصبح هو الآمر الناهي وهو شخصية خاوية من علم وفهم ويحكم على الناس بالضلال، ويطلق نظراته المسمومة وكلماته الجارحة ويطلق يده لتضرب غيره، هذا لاشك غياب للمنهج، غياب للمضمون الدعوي، وبالتالي هو انحزام الشخصية، التي تدعي زوراً وبهتاناً إنها على الحق. فالغلو والتطرف محاربة في دين الله سواء كانت في العبادة المفروضة أو في التعامل بين الناس، أو على مستوي الحكم في الدولة.

ونلاحظ اليوم أناساً لبسوا القصير وأكلوا غير اللائق من الطعام وحكموا على غيرهم بالخطأ، فاللبس الساتر زينة ونعمة والأكل الطيب صحة ونعمة قال تعالى:﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٣٨).

هذا وسوف نواصل الكلام عن الغلو والتطرف في كل المستويات ونرى هنا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحفاظ على النفس والحفاظ على الأهل والبعد بشخصية الإنسان عن ما يمقته ويعزله ويهزمه حيث ورد في ابن أبي جمرة عن عبد الله بن عمر قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ألم أخبر إنك تقوم الليل وتصوم النهار قلت أني أفعل ذلك قال فإنك إذا فعلت ذلك هجمت عينك ونفهت نفسك وإن لنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فصم وأفطر وقُمْ ونَمْ" (٣٩).

فقوله ألم أخبر؟ هذا استفهام تغريري وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه والمراد الإقرار بما بعد النفي أي أقر بأني أخبرت أنك تقوم الليل...الخ وقوله أني أفعل ذلك أي المذكور من الأمرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله هجمت عينك أي غارت وضعف بصرها. قال في

---

(٣٧) حاشية الشيخ محمد الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة، ص٤٦-٤٧، مصدر سابق.

(٣٨) سورة الأعراف: الآيات (٣٢-٣٣).

(٣٩) حاشية الشيخ محمد الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة، ص١٥٢-١٥٣، مصدر سابق.

المصباح وهجمت العين هجوماً غارت، ونفخت العين أي تعبت وأعيت، وقوله وإن لنفسك، أي ذاتك وقوله لأهلك أي زوجك وقوله فصم أي في بعض الأيام وقوله وأفطر أي في البعض الآخر، وكأن هذا إشارة إلى صوم داؤود عليه الصلاة والسلام، وقال عبد الله بن عمر دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار.

قلت إني أفعل ذلك يا رسول الله. قال أن من حسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام فإذا فعلت ذلك صمت الدهر كله فقلت إني اقوي على أكثر من ذلك قال إن أعدل الصيام عند الله صيام داؤود قال فأدركني الكبر حتى وددت أني عدمت مالي وأهلي وإني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله "ثم" أي في بعض الليل ونم البعض الآخر.

قال عبد الله زوجني أبي امرأة من قريش فلم أقربها لاشتغالي بالصوم والصلاة فبلغ ذلك أبي فعنفني بلسانه ثم شكاني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطلبني فلما جئت قال يا عبد الله أتصوم النهار قلت نعم قال وتقوم الليل قلت نعم قال لكني أصوم وأفطر وأنام وأمس النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني. ثم قال أقرأ القرآن في ثلاثة أيام وصوم من كل شهر ثلاثة أيام فقلت إني اقوي على أكثر من ذلك فلم يزل يرافعني حتى قال صم يوماً وافطر يوماً فإن ذلك أفضل الصيام وهو صيام أخي داؤود. سأل رجل معروف الكرخي أي شيء أهيج للعبادة واقطع لهوي النفس قال خوف الموت فقال واشد من ذلك قال هول الموقف ثم قال وأشد من ذلك فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأشد من ذلك فقال يا أخي إن أحبك أحببته وإن أحببته أنساك هذه كلها وعبادته لأجله خالصاً. وفي الحديث دليل على أن المندوب في الدين مطلوب على كل حال فكأنه عليه الصلاة والسلام يقول له، لا تشتغل بإعطاء الحقوق وتترك المندوب مرة واحدة ولكن أجمع بين فرضك وندبك وعلى هذا الأسلوب نجد قواعد الشريعة كلها، إذا استقرتها فمن أريد به خيراً بصر بعيون نفسه فأبصر رشده ولذلك قال نظرك إلى النفس حجاب عما سواها وشغلك بغيرها حجاب عنها، فإن عجبت بها فإنك الحظ مما سواها، فإن تعاميت عنها نلت خبرها وخبر ما سواها"(٤٠).

وما زال الكلام عن المنهجية الصحيحة التي يجب أن يكون عليها الإنسان، حتى لا يقع في المحظور من العبادات التي يقع فيها المغالين والمتطرفين هذا ونواصل في كلامنا عن الغلو والتطرف من خلال الحديث النبوي الشريف وذلك كما ورد في الحديث المشار إليها سابقاً.

وكذلك نرجع إلى كلام العلماء الذين أخذوا من الأحاديث النبوية من أمثال الشيخ يوسف القرضاوي حيث قال:" الإسلام منهج وسط للأمة الوسط وهو يمثل الصراط المستقيم" في كل مجال من المجالات، ويجسد التوازن والاعتدال في كل شيء في العقيدة، وفي العبادة، وفي الأخلاق، وفي المعاملات والتشريعات كلها، بعيداً عن الغلو والتفريط. كما أني أري الأعراض عن هذه الوسطية هو الهلاك بعينه، والضياع في الدين والدنيا معاً، سواء كان هذه الأعراض جنوحاً إلى جانب التسيب والانفلات، وهو جانب التفريط والتقصير، بإضاعة الصلوات، وإتباع الشهوات، والسير في ركاب شياطين الإنس والجن، وباعة الفجور، ومروجي الإلحاد، والانحلال، ودعاة المادية المجحفة، والإباحية المسرفة، فهلاك هؤلاء محتم وفق سنن الله تعالى:﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(٤١).

إن الأعراض عن الوسطية جنوحاً إلى جانب الغلو والتنطع والتشدد، وهو جانب الإفراط أو التطرف، كما يسمونه اليوم، وهو الشائع للأسف بين عدد من الفصائل المنسوبة إلى الصحوة الإسلامية. وقد وضّح الحديث النبوي بأن سبب الهلاك للأمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "إن الدين يسر ولا يشاد الدين أحد إلى غلبه، فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة(٤٢).

والخير كل الخير في التوسط والتوازن بين الغلو والتقصير، أو بين الإفراط والتفريط، أو بين " الطغيان والإخسار" على حد تعبير القرآن:﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾(٤٣).

---

(٤٠) حاشية الشيخ محمد الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة، ص١٥٣-١٥٤، مصدر سابق.

(٤١) سورة التوبة: الآية (٦٩).

(٤٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، حديث رقم ٢٩، باب الدين يسر، ج١، مصدر سابق، ص٢٩.

والطغيان تجاوز الحد الوسط، إلى جانب الغلو والإفراط، والإحسار هو تجاوزه إلى جانب التقصير والتفريط.

والمنهج المطلوب هو "الهدي القاسط" كما عبر عنه في حديث شريف عن بريدة الاسلمي رضي الله عنه قال. خرجت ذات يوم لحاجة، وإذا أنا بالنبي صلى الله عليه وسلم يمشي بين يدي، فأخذ بيدي، فانطلقنا نمشي جميعاً، فإذا نحن بين أيدينا رجل يصلي، يكثر الركوع والسجود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أتراه يراني؟ فقلت الله ورسوله أعلم! فترك يده من يدي، ثم جمع يديه، فجعل يصوبهما يرفعهما، ويقول "عليكم هدياً قاصداً، عليكم هدياً قاصداً! فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه"(٤٤).

ولا تنتقل الصحوة الإسلامية المعاصرة من المراهقة إلى الرشد، إلا بتبني هذا الهدى القاصد أو هذا المنهج الوسطي الذي لا طغيان فيه ولا إحسار.

وتتجلى هذه الوسطية في مواقف شتى أساسها رفض الغلو والتفريط، وهو ما وقع فيه كثير من الناس(٤٥).

ويرى الشيخ القرضاوي إن بعض الإسلاميين قد انحصرت عنده الألوان الكثيرة من لونين اثنين لا ثالث لهما هما الأبيض والأسود وليس بينهما ألوان أخرى مما يعرفه الناس من الألوان الأصلية الفرعية، التي لكل منها درجات لا تكاد تحصر.

وبعض هؤلاء يكاد يحصر الألوان كلها في واحد ويجعل الأصل في الألوان كلها وفي الحياة كلها هو:(السواد) تبعاً للمنظار الذي يرى فيه الناس الأشياء وبهذه النظرة السوداء المتشائمة حدد أجوبة جاهزة لكل شيء يطلقها كالقنبلة، ولا يبالي ما أصابت من الحياة والإحياء، فالمجتمع جاهلي كله.

والحياة أثم كله والناس كلهم كفار، أو منافقون والعالم كله وحوش.

وكل ما يمارسه الناس في حياتهم المعاصرة من لهو وفنون: حرام في حرام هذا مع أن سلف الأمة كانوا يتحرجون أشد الحرج، من إطلاق كلمة " الحرام" إلا ما علم تحريمه جزماً، وبهذا نزل في ذم الخمر آيتان إحداهما في سورة البقرة:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾(٤٦).

والثانية في سورة النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾(٤٧).

ومع هذا ظل بعض الصحابة يشربها وظل بعضهم يقول: " اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً حتى نزلت آية المائدة الحاسمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٤٨).

---

(٤٣) سورة الرحمن: الآيات (٧-٨).

(٤٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب الدين يسر، ج١، مصدر سابق، ص٩٤.

(٤٥) مجلة أمة الإسلام- العدد الثاني رجب- شعبان ١٤٣٠هـ- يوليو ٢٠٠٩م- دار كاهل للدراسات والطباعة والنشر المحدودة، ص٢٨٢-٢٨٣-٢٨٤.

(٤٦) سورة البقرة: الآية (٢١٩).

(٤٧) سورة النساء: الآية (٤٣).

(٤٨) سورة المائدة: الآية (٩٠).

يجب أن نعترف أن الفترة الماضية وخصوصاً في الخمسينات والستينات كانت مجالاً خصباً لانتشار نوع من الأفكار السوداء في الساحة الإسلامية، فقد غلب الفكر الذي ينزع إلى الرفض والتشاؤم والاتهام، وسوء الظن بالآخرين على اختلاف نزعاتهم واتجاهاتهم حتى المسلمين منهم. أجل راجت فكرة التبديع بل التكفير وساعد على ذلك الجو الخانق الذي كانت تعيشه الحركة الإسلامية ورجالها ودعاتها. الذين نصبت لهم المشانق جهرة، أو قتلوا بأدوات التعذيب خفية، أو صبت عليهم ألوان التنكيل والتشريد من كل جهة، في حين فتحت الأبواب أمام الشيوعيين والعلمانيين وكل خصوم الإسلام، وفي نفس الوقت: راج فقه من سميتهم " الظاهرية الجدد" الذين ينسبون أنفسهم أو ينسبهم الناس إلى السلفية أو بعبارة أخرى مدرسة ابن تيمية وتلاميذته، وهم كانوا أبعد الناس عن الحرفية والجمود على الصورية والشكلية، التي يستقل هؤلاء في التمسك بها حتى كاد الإسلام ينحصر في لحية طويلة، وثوب قصير، بالنسبة للرجل، ونقاب على وجه المرأة.

ونرى هؤلاء الإخوة الأفاضل يشعلون معركة في أواخر كل رمضان، ضد الذين يخرجون صدقة الفطر نقداً ويصرون على إخراجها من الحبوب والأطعمة. وإن لم ينتفع بها الفقير، لأنه لم يعد يطحن أو يعجن أو يخبز، وقد أجاز إخراج القيمة عدد من سلف الأمة.

وبهذا غلب الفكر الإسلامي: الإعنات والتصلب، وتقهقرت روح الوسطية السمحة الميسرة إلى حين، وأعتقد أن الحركة لابد لها من التغلب على فكر المحنة، أو فكر الأزمنة، لتنتقل إلى فكر العافية، ومن فكر " مدرسة الظواهر" إلى فكر " مدرسة المقاصد" ومن فكر الجنوح إلى الغلو أو التسيب إلى الفكر الوسطي المعتدل، المعبر عن وسطية الأمة المسلمة ووسطية المنهج الإسلامي، الذي أراد الله به اليسر، ولم يرد به العسر.

لقد شغلتني قضية " الغلو الديني" أو التطرف الديني، كما أطلق عليها في بعض الفترات، باعتبارها جزءاً من "ترشيد الصحوة" وتسديد مسيرتها، حتى لا تتآكل من الداخل أو تضرب من الخارج.

ويهمني أن انقل ملاحظتين مهمتين حول مفهوم التطرف أو الغلو، الذي يفسره كل اتجاه بما يحلو له، وما يخدم فكرته، حتى إن بعض البلاد تعتبر من يحرص على الصلاة في المسجد متطرفاً، ومن ترتدي الحجاب أي تغطي رأسها بالخمار متطرفة.

الملاحظة الأولي:

إن مقدار تدين المرء، وتدين المحيط الذي يعيش فيه، من حيث القوة والضعف له أثره في الحكم على الآخرين بالتطرف أو التوسط أو التسيب.

فمن المشاهد أن من كانت جرعته من التدين قويه، وكان الوسط الذي نشأ فيه شديد الالتزام بالدين، يكون مرهف الحس لأي مخالفه أو تقصير يراه، حتى إنه ليعجب أن يوجد مسلم لاحظ له من قيام الليل، أو صيام النهار وفي هذا وارد القول المأثور حسنات الأبرار، سيئات المقربين.

ويحضرني هنا ما قاله أنس بن مالك لمعاصريه من التابعين إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، وان كنا لنعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، من الموبقات، وكانت عائشة رضي الله عنها تنشد بيت لبيد بن ربيعة ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلق كجلد الأجرب وتقول رحم الله لبيداً كيف لو عاش إلى زماننا هذا؟ وقد عاشرت إلى عهد بني أمية، وماتت في زمن معاوية وكان ابن أختها عروة بن الزبير، وقد عاشت بعدها زمناً ينشد البيت، ويقول رحم الله لبيداً أو رحم الله عائشة، كيف لو عاشا إلى زماننا هذا؟

وفي مقابل هذا نجد الشخص الذي قلّ زاده من التدين علماً وعملاً، أو عاش في محيط تجرأ على محارم الله وتنكر لشرائعه، ويعتبر التمسك بالحد الأدنى من الدين ضرباً من التنصب أو التشدد.

وكلما زادت مسافة البعد بينه وبين الدين، زاد استغرابه بل إنكاره، بل اتهامه لكل من يتمسك بعروة الدين ويلجم نفسه بلجام التقوى ويسأل في كل شيء يعرض له أو يعرض عليه حلال هو أم حرام؟

وكثير من أولئك الذين يعيشون في أوطاننا بأسماء إسلامية وعقول غربية، يعتبرون مجرد الالتزام بأوامر الله ونواهيه تطرفاً دينياً!

وكثير ممن غزته الأفكار والتقاليد الأجنبية يعتبر الذين يتمسكون بآداب الإسلام في المأكل والمشرب والملبس، والزينة ونحوها غاية في التطرف والتعصب!

لقد رأينا من يعتبر الدعوة إلى تحكيم شرع الله، وإقامة دولة الإسلام في أرض الإسلام تطرفاً في الدين، ورأينا من يرى الغيرة على الدين وحرماته، والأمر بالمعروف إذا ضيع، والنهي عن المنكر إذا وقع تطرفاً في الدين وتدخلاً في الحرية الشخصية للآخرين!

ورأينا من يرى أن اعتبار الآخرين من غير المؤمنين بدينه كفاراً تعصب وتطرف، مع أن أساس الإيمان الديني يعتقد المؤمن أنه على حق، وان مخالفيه على باطل، ولا مجاملة في هذه الحقيقة.

بل رأينا من يعتبر الحرص على الصلاة في المسجد تطرفاً أو غلواً في الدين! ومن يرى لبس المسلمة الخمار على رأسها، غاية في التطرف، بل جريمة يعاقب عليها بالحرمات من دخول المدرسة والجامعة والتوظيف في مؤسسات الدولة، ودخول مستشفيات الحكومة للولادة.

الملاحظة الثانية:

انه ليس من الإنصاف أن نتهم إنساناً بالتطرف في دينه لمجرد أنه اختار رأياً من الآراء الفقهية المتشددة ما دام يعتقد أنه الاصوب والأرجح، ويرى انه ملزم به شرعاً. لأنه ليس مسؤولاً إلا عما يراه ويعتقده هو، وإن شدد بذلك على نفسه، بل حسبه أن يرى أن ذلك هو الأفضل والأروع وإن لم يكن فرضاً ولا واجباً، إذا كانت همته لا تقف عند حد الفرائض، وإنما يتقرب إلى الله تعالى بالنوافل حتى يحبه.

ومن حقائق الحياة أن الناس يتعاونون في هذه القضية فمنهم المتساهل الميسر، ومنهم المتشدد المعسر، وقد كان في الصحابة المترخص كابن عباس والمتشدد كابن عمر رضي الله عنهما.

ويكفي المسلم في هذا المقام أن يستند رأيه الذي تبناه إلى مذهب من المذاهب المعتبرة عند المسلمين، أو يعتمد على اجتهاد صحيح قائم على استدلال شرعي سليم. فإذا كان هناك من أئمة المذاهب المتنوعة من يقول بوجوب إعفاء اللحية وتركها وحرمة حلقها، فهل يوصف بالتطرف من اقتنع بهذا المذهب وأخذ به، وطبقة على نفسه، لأنه خالف رأي ورأيك ورأي زيد وعمرو من العلماء، ولاسيما المعاصرين. وهل من حقنا أن نصادر حق أمريء في ترجيح رأي على آخر، وبخاصة أنه يتصل بحياته وسلوكه هو لا بحياة غيره.

أن جمعاً غفيراً من علماء السلف والخلف، رأوا أن على المرأة المسلمة أن تستر جميع بدنها ما عدا وجهها وكفيها، فقد اعتبروها مما استثني في قوله تعالى:﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾(٤٩).وأكدوا ذلك بأحاديث ووقائع وآثار ورجح ذلك كثيرون من علماء عصرنا(٥٠).

(٤٩) سورة النور: الآية (٣١).

(٥٠) مجلة أمة الإسلام العلمية- شركة دار كاهل للطباعة والنشر المحدودة- العدد الثاني، ص٢٨٨-٢٨٩.

ولكن عدداً أخر من العلماء المرموقين ذهبوا إلى أن الوجه والكفين عورة، يجب سترها، واستدلوا على ذلك بنصوص من القرآن والحديث والآثار، وأخذ بقولهم كثيرون من علماء هذا العصر، وخصوصاً في باكستان والهند والسعودية، وأقطار الخليج. وأرسلوا نداءاتهم إلى كل فتاة تؤمن بالله واليوم الآخر، أن تلبس النقاب ليستر وجهها، والقفاز ليستر يديها، فهل تدمغ بالنظر في فتاة أو سيدة أمنت بهذا المذهب، واعتبرته جزءاً من دينها؟ أو يدمغ به رجل دعا إلى ذلك ابنته أو زوجته فاستجابت. وهل يحق لنا أن يخبر هذا وذلك أو تلك على التنازل عما يعتقده شرع الله وتلزمه أن يبع الجنة ويشتري النار، إرضاء لخاطرنا، وفراراً من تهمه التطرف؟

ومثل ذلك يقال فيمن يتبني الآراء المتشددة في الغناء والموسيقي أو الرسم أو التصوير وغيرها، مما يخالف اجتهادي شخصياً في هذه الأمور، واجتهاد عدد من علماء العصر البارزين، ولكنه يتفق مع آخرين من علماء المسلمين متقدمين ومتأخرين ومعاصرين، والواقع أن كثيراً مما ينكر على من نسميهم " المتطرفين" مما قد يعتبر من التشدد والتنطع له أصل شرعي في فقهنا وتراثنا، تبناه بعض العلماء المعاصرين ودافعوا عنه ودعوا إليه، فاستجاب لهم من الشباب المخلصين من استجاب، رجاء رحمه الله تعالى وخوف من عذابه. وذلك كلبس الثوب (الجلباب) بدل القميص والبنطلون، وتقصيره إلى ما فوق الكعبين، والامتناع عن مصافحة النساء، وغيرها.

ومن هنا لا نستطيع أن ننكر على مسلم، أو نتهمه بالتطرف، لمجرد أنه شدد على نفسه، وأخذ من الآراء الفقهية بما يراه أرضي لربه، وأسلم لدينه، وأحوط لأخرته وليس من حقنا أن نجبره على التنازل عن رأيه، ونطالبه بسلوك يخالف ما يعتقده وبدين الله به، كل ما نملكه أن ندعوه بالحكمة، ونحاوره بالحسنى، ونقنعه بالدليل، عسي أن يدخل فيما نراه أهدى سبيلاً، وأقوم قيلا(٥١).

(٥١) مجلة أمة الإسلام العلمية- العدد الثاني، دار كاهل للطباعة والنشر، ص٢٨٨-٢٨٩-٢٩٠.

وفي نهاية هذا البحث اسأل الله تعالى التوفيق والسداد أنه نعم المولي ونعم النصير.

ومن خلال هذا البحث توصلت إلى التوصيات والنتائج التالية:

أولاً: النتائج:

١) الغلو والتطرف انهزام لشخصية الإنسان وسبب لعزلته.

٢) الاندفاع في أمور الدين بالعاطفة تعطيل لأمر الدين.

٣) المغالي والمتطرف ينطوي على نوازع نفسية متعددة بعيدة عن الواقع.

٤) نظرة المغالي والمتطرف إلى المجتمع بأنه مجتمع خارج عن الملة الإسلامية.

٥) المغالي والمتطرف يتمسك بنص واحد ويرفض أغلب النصوص ويرفض رأي العلماء والمجتهدين.

٦) الغلو والتطرف ظاهرة تاريخية قديمة بدأت من تاريخ الخوارج والمعتزلة، وكانت عند بعض الصحابة الكرام رضي الله عنهم ورجعوا عنها بعد أن حاورهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت عندهم بحسن النية.

ثانياً: التوصيات:

١) أوصى بمحاورة المغالين والمتطرفين بالعلماء الشرعيين وعلماء النفس.

٢) يجب محاصرة المغالين والمتطرفين بالمتابعة العلمية والأمنية.

٣) نوصى بمعرفة حال المغالي والمتطرف الدوافع والأسباب.

٤) يجب حماية المساجد أولاً بالأئمة المعتدلين، وثانياً بالرقابة من جهات الاختصاص.

٥) نوصى بتوسيع دائرة المعرفة وتقوية الخطاب الدعوى.

المراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٣. أبي القاسم جار الله الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وحدة التأويل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.
٤. حاشية الشيخ محمد الشنواني على مختصر ابن جمرة، دار الفكر، بيروت.
٥. د. علي بن عبد العزيز: القاموس المحيط وشرحه، مادة طرف.
٦. الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الزاوية والدراية، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٧. طارق محمد الطواري: التطرف والغلو الأسباب والمظاهر.
٨. عائض القرني: لا تحزن، ط١٠، مكتبة العبيكان، الرياض، العليا، مصر.
٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.
١٠. مجلة أمة الإسلام، العدد الثاني، دار كاهل للطباعة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
١١. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.